المكانة العلمية
لابن ابي الدنيا

الاستاذ الدكتور
مقتدر حمدان عبد المجيد
جامعة بغداد / كلية التربية _ ابن رشد

ملخص :

يعطي كتاب إصلاح المال لابن ابي الدنيا (ت٢٨١هـ) صورة مشرفة عن تاريخ الفكر الاقتصادي الاسلامي ، ويظهر نوعاً من الدقة والعدالة التي جاء بهما ديننا الحنيف ، في سائر النشاط الاقتصادي ، ذلك انه يمثل جانباً مهماً من جوانب النظرية الاقتصادية الإسلامية .

وعلى الرغم من إن هذا الموضوع قد طُرق قبل ابن أبي الدنيا وبعده إلا أنَّ ميزة هذا الكتاب عن غيره تظهر جلية واضحة بعد معرفة المكانة العلمية الكبيرة التي وصل إليها مؤلفه ، والزمن الذي صُنِّفَ فيه ، والمواضيع التي بحثها بروية وتأن واعتدال . فضلاً عن ان الكتابات السابقة كانت في غالبها تشير الى الجانب النظري وما يجب ان يكون عليه الحال ، اما ما امتاز به كتاب اصلاح المال انه دون ووثق الجانب العملي وما حدث فعلاً من دون تنظير .

فمؤلفه الإمام ابن أبي الدنيا من العلماء الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري ، وجعل من نفسه معلماً ومربياً لعامة أبناء المجتمع وخاصتهم ، بعد أن درس على يد كثير من الفقهاء والقراء والنحويين والمحدثين وغيرهم من العلماء الأعلام . وتتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم ، وقام بخدمة أمته ودينه على مر العصور بتصنيفه للمصنفات الكثيرة التي زادت على المائتي مصنف ، في اختصاصات متعددة .

المبحث الأول : حياة ابن أبي الدنيا

اسمه ونسبه : هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ، الأموي مولاهم ، البغدادي ، المحدث ، الفقيه الحافظ ، العالم ، الصدوق ، الإمام ، الحبر ، الحجة ، مشارك في أنواع من العلوم ، الحنبلي ، الزاهد ، الصوفي المؤدب ، صاحب التصانيف السائرة والمشهورة ، المعروف بابن أبي الدنيا صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرقائق .

مولده ونشأته : ولد الحافظ ابن أبي الدنيا ، بمدينة بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري ، سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م). في عهد الخليفة المأمون (ت٢١٨هـ) آخر العصر العباسي الأول ، وقد كانت بغداد آنذاك حاضرة الإسلام ومركز الخلافة ، يؤمها العلماء من كل صوب ، فنشأ في جو علمي منذ نعومة أظفاره ، في عصر الحضارة الإسلامية الذهب . ولما كان والده من العلماء المهتمين بالحديث الشريف ، فقد هيأ له جواً علمياً خاصاً ، بالإضافة إلى الجو العلمي العام السائد والذي تتمتع به بغداد في ذلك الوقت ، فاهتم به والده كامل الاهتمام ، ورباه على محبة العلم والعلماء ، حتى اصبح يتردد على مجالس العلم المنتشرة في مساجد بغداد ، يقطف من كل حلقة علم وموعظة ، ومن كل مؤدب حكمة .

فكونت شخصيته وادبت نفسه برعاية نخبة من أفذاذ علماء ذلك العصر ، فقرأ القران ، والحديث والفقه ، واللغة في سن مبكرة ، حتى كانت بعض سماعاته قبل البلوغ ، لاسيما عن خالد بن خداش ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وسعدويه .

نشأ ابن أبي الدنيا في مدينة بغداد حيث وجد هناك : المحدث والفقيه والمؤدب والزاهد هم أبناء هذا المجتمع ومادته ، وكان للعلم والزهد اثر بالغ في بناء شخصية ابن أبي الدنيا وتكوينه العلمي . فعلى الرغم من انه مولى للأمويين إلا انه اتصل اتصالاً وثيقا ببني العباس وكان مؤدب أولاد الخلفاء .

تردد ابن ابي الدنيا على مجالس العلم والحديث والأخبار وصنف التصانيف الكثيرة في الزهد والرقائق وغير ذلك . وكانت بغداد في عصره حاضرة العلم ومحط رحال العلماء ولهذا لا تحدثنا المصادر عن مغادرته لها فهو لا يكاد يبرحها إلى غيرها كما فعل الكثير من طلبة العلم وكأنها أغنته عن سواها من المدن الاسلامية .

بيئته التي نشأ فيها : كانت أسرة ابن أبي الدنيا أسرة خير وفضل ، وبيته بيت علم وصلاح . فأبوه من العلماء المهتمين بالحديث وروايته ، مما اسهم في نشأته العلمية ، وتكوينه في وقت مبكر ، فحببته أسرته في العلم والعلماء ، ودفعت به إلى حلقات العلم ، فأقرأته القران والفقه ، ووجهته الى سماع الحديث النبوي وكتابته . وقد كان لهذا التوجه عظيم الاثر في توجه ابن أبي الدنيا ، خصوصاً في جانبي الحديث والزهد ، فقد سمع من أبيه أحاديث كثيرة ، وبلغ عدد الروايات التي سمعها منه ابن أبي الدنيا في هذا الكتاب (٢١) رواية عدا ما سواه من الكتب التي جاوزت الـ (٢٠٠) كتاب .

وبحكم أن والده كان أحد العلماء فقد مكنه ذلك من السماع من أعلام العصر وحفاظه وسنه دون البلوغ ، ومن هؤلاء الحفاظ سعيد بن سليمان الواسطي سعدويه (ت٢٢٩هـ) ، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، وخالد بن خداش (ت٢٢٣هـ) فأدرك بهؤلاء وطبقتهم إسناداً عالياً ، وشارك أصحاب الكتب الستة في كثير من شيوخهم . وقد دلت بعض الروايات على انه استقل واخذ يطوف على المشايخ بنفسه ، وسنه دون العاشرة . وبهذه العناية المركزة والمبكرة من أسرة ابن أبي الدنيا ، وبما كان له من الهمة والإقبال استطاع أن يجمع علماً غزيراً ويتتلمذ على عشرات المشايخ من أئمة العصر وحفاظه .

قال الذهبي : " وقد جمع شيخنا أبو الحجاج الحافظ المزي أسماء شيوخه على المعجم ، وهم خلق كثير " . ثم ذكر الذهبي جزءاً منهم فبلغ عددهم أربعة وتسعين شيخاً ، وبلغ عدد شيوخه في كتاب إصلاح المال وحده مئة وست وسبعون شيخاً . وبهذا تكونت شخصية ابن أبي الدنيا العلمية ، فهو حنبلي المذهب ، وعنده ميل الى الزهد ، وعمل على بث هذه الروح الأخلاقية الإيمانية ، ورصد نفسه لها ، ومن اجل ترسيخها في نفوس طلابه وأبناء مجتمعه ألف ما يزيد على مائة مصنف . ويُعد القرن الثالث الهجري عصر النهضة الفكرية ، ففي تلك الحقبة نشطت حركة الترجمة والإبداع الأدبي ، وكان هذا عامل رئيس في بلورة فكر ابن أبي الدنيا وتهذيبه .

مكانته العلمية :

تبوأ ابن أبي الدنيا مكانة علمية عالية . ومما يعزز هذا الرأي ويؤكده كثرة الآثار العلمية المتنوعة في اتجاهاتها وأهدافها التي تركها من بعده لتكون خير شاهد على علو منزلته وتمكنه في شتى مجالات العلوم . وقد

بلغت مصنفاته التي وقفت على أسمائها في شتى الكتب (٢٧٠) مصنفاً . إن معرفة الإنسان وما توصل إليه ، والدرجة التي بلغها يمكن إدراكها عن طريق الاطلاع على المصادر التي نشأ في وسطها ونهل منها ، وبالنسبة إلى ابن أبي الدنيا فقد لازم نخبة من علماء عصره ، الذين لهم القدم الراسخ في مختلف ميادين المعرفة .

ويمكن التوصل إلى معرفة مكانة ابن أبي الدنيا العلمية عن طريق معرفة تلاميذه الذين تخرجوا على يديه ، وحملوا مصنفاته ومروياته وبلغوها من بعده . فالتلميذ يمكن ان يعكس ما يتصوره شيخه ، لاسيما ان قام بالرواية عنه وتبليغ ما تعلمه منه . كما ان الشيخ قد يدل على الاتجاهات التي ينتهجها تلميذه من بعده .

ومما يظهر مكانة ابن أبي الدنيا العلمية تلك الشهادات التي شهد له بها جمهور من العلماء المهتمين بالجرح والتعديل ، فقد وصفوه بأوصاف جليلة تدل على الرسوخ في العلم والصدق في الدين .

فممن وثقه من العلماء : ابن الجوزي ، وابن شاكر الكتب ، وابن تغري بردي . وممن نعته بالصدوق : الرازي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، وابن تغري بردي . وشملت شهادة هؤلاء العلماء تزكية لكتبه ، فقال مغلطاي في حقه : " كان معلم عربية وصاحب رقائق واوضاع كثيرة ، صنف في الزهد اكثر من مائة مصنف " . وقال ابن كثير : " الحافظ المصنف في كل فن ، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة في الرقائق وغيرها " . وزاد ابن تغري بردي على ذلك بقوله : " والناس بعده عيال عليه في الفنون التي جمعها " .

أولاً : شيوخه :

تتلمذ ابن أبي الدنيا على يد كثير من العلماء الذين عاشوا في بغداد أو ارتحلوا إليها واستقروا على ارضها ، في القرن الثالث الهجري . وحين تقصى الذهبي عدد شيوخه عدّ منهم (٦٤) شيخاً ، ولما لم يكن هذا الرقم شاملاً لكل شيوخه قال : (وقد جمع شيخنا أبو الحجاج الحافظ أسماء شيوخه على المعجم وهم خلق كثير) . أما بالنسبة لشيوخه الذين روى عنهم في كتاب إصلاح المال فقد بلغ عددهم (١٧٦) شيخاً .

وكان لاجتهاد ابن أبي الدنيا ، وهمته العالية في تتبع العلماء والأخذ عنهم اثر بالغ في جعله من أوعية العلم ، ورائداً من رواده : فاصبح الحافظ الكبير ، والمصنف المكثر ، روى ابن أبي الدنيا عن كثير من الشيوخ ممن عاشوا في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الهجري ، ذكر المزي عدداً كبيراً منهم في تهذيب الكمال . إذ كان لتبكيره في طلب العلم ، وهو سن التميز ـ دون العاشرة ـ ، وحفاوة أسرته به ، وتشجيعهم إياه ، وكون والده من أهل العلم والرواية ، والبيئة التي نشأ بها ، كل هذه الأسباب ساعدت ابن أبي الدنيا على ان يحمل مثل هذا العلم الوافر الغزير . واستطاع ان يدرك إسناداً عالياً ، وتمكن من السماع ، وسنه دون البلوغ ، من الإمام الكبير أبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت٢٢٤هـ) ، والإمام الحافظ المعمر سعيد بن سليمان سعدويه ، نزيل بغداد (ت٢٢٥هـ) . والامام خلف بن هشام البزار المقرىء البغدادي (ت٢٢٩هـ)، وتخرج على يد اعلام الحفاظ ، مثل الإمام المسند علي بن الجعد (ت٢٣٠هـ) صاحب المسند ، والمؤرخ الحافظ محمد بن سعد ابي عبد الله البغدادي كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ) ، والإمام الحافظ احمد بن منيع (ت٢٤٤هـ) . وبهذه الهمة العالية تمكن من اللقاء مع كبار الشيوخ والسماع منهم وعن المئات من جهابذة العلماء . وعد الذهبي جملة منهم

، على سبيل الاختصار ، فبلغوا أربعة وتستون شيخاً . وعدتهم عند الحافظ المزي مائة وتسعة عشر شيخاً ، ذكرهم مرتبين على حروف المعجم .

وقد تحصل لي من شيوخه في كتاب " إصلاح المال " وحده مئة وست وسبعون شيخاً من شيوخه المباشرين الذين سمع منهم . فقد كان لرغبته في طلب العلم ، وهمته في جمعه وتحصيله يتتبع حملة العلم من الغرباء والمغمورين ، ومن هو دونه من العلماء والمحدثين ليُشبع نهمته ويملأ جعبته . وقد اخترت ان أتحدث عن اربعة من اشهر شيوخه وممن كان لهم اثر ظاهر في صقل شخصيته العلمية :

١) القواريري: الإمام الحافظ محدث الإسلام ، عبيد الله بن عمر بن ميسرة أبو سعيد الجشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج ، من أهل البصرة نزل ببغداد ، ولد سنة ١٥٢هـ ، حدث عنه البخاري ومسلم وأبو داود ، كان ثقة صدوق ، روى مائة ألف حديث ، توفي ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة في أيام التشريق سنة ٢٣٥هـ ، وحضر جنازته خلق كثير ودفن بعسكر المهدي خارج الثلاثة أبواب ، وكان عمره يوم مات ٨٤ سنة .

٢) الجوهري : الإمام الحافظ الحجة مسند العراق علي بن الجعد بن عبيد الجوهري أبو الحسن البغدادي مولى بني هاشم ، كان يتجر بالجواه روى عنه البخاري وأبو داود واحمد بن حنبل وغيرهم كثير ، قال نفطويه : كان علي بن الجعد اكبر ممن ببغداد بعشر سنين ، وسئل ابن معين عنه فقال : ثقة صدوق كتبت عن علي بن الجعد منذ ثلاثين سنة ، كان صدوقاً . وبحسبك ان ابن عدي قال عنه : " لم أر في رواياته حديثاً منكراً " ، جمع عبد الله بن محمد البغوي اثني عشر جزءاً من حديثه سماها الجعديات مشتملة على تراجم شيوخه وشيوخهم وقد اكثر ابن أبي الدنيا من الرواية عنه ، توفي لست بقين من رجب سنة ٢٣٠هـ وقد استكمل ٩٦ سنة .

٣) سعدويه : الحافظ المسند الثبت الإمام سعيد بن سليمان بن كنانة أبو عثمان الضبي الواسطي البزاز الملقب بسعدويه ، سكن بغداد واتجر بها وكان منزله بالكرخ نحو درب أصحاب القراطيس ، ونشر علمه فيها ولد سنة بضع وعشرين ومائة ، روى عنه : البخاري وأبو داود وابن معين وآخرون ، قال أبو حاتم : ثقة مأمون ، توفي بها يوم الثلاثاء بالعشي في رابع ذي الحجة ودفن من الغد يوم الأربعاء في أول النهار سنة ٢٢٥هـ .

٤) البزار : الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام خلف بن هشام بن ثعلب وقيل ابن طالب بن غراب أبو محمد البغدادي البزار الاسدي المقرئ ، ولد سنة ١٥١هـ ، هو من أهل قرية فم الصلح ، ثم انتقل إلى بغداد ، روى عنه : مسلم وأبو داود وأبو يعلى الموصلي وعدد كثير غيرهم ، له اختيار في الحروف صحيح ثابت لا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع ، كان ثقة عابداً فاضلاً ، قال عباس الدوري : ما رأيت اقرأ للقران من خلف ، قال ابن حبان : كان خيراً فاضلاً عالماً بالقراءات كتب عنه احمد بن حنبل وكان من الحفاظ المتقنين ، توفي في سابع شهر جمادي الآخرة ودفن في مقابر الكناسة سنة ٢٢٩هـ وقد شارف على الثمانين .

ثانياً : تلاميذه :

كان ابن أبي الدنيا أحد أعلام عصره ، الذين اشتهروا في شتى العلوم ، وظهروا مؤدبين ومربين لعامة الناس وخاصتهم ، وكان لتصدره للتربية والتعليم في سن مبكر الأثر الأكبر في كثرة من اخذ عنه . ولقد كان لهمة ابن

أبي الدنيا العالية اثر بالغ في جعله من أوعية العلم فاصبح يقصده طلبة العلم من مختلف بلاد الإسلام ، يرحلون إليه ليسمعوا منه ، ويقتدوا بزهده وصلاحه وتأديبه وقد عمر حتى سمع منه عدد هائل من أهل العلم وأبنائه ، فتخرج على يديه في الحديث جمع غفير من الطلبة . قال ابن تغري بردي : " والناس بعده عيال عليه في الفنون التي جمعها وروى عنه خلق كثير " . وعد له الحافظ المزي من أسماء تلاميذه مرتبين على حروف المعجم ، خمسة وخمسين تلميذاً . كما ذكر له الذهبي سبعة وعشرين تلميذاً على سبيل المثال لا الحصر . ومجموع تلاميذه (١٠٣).

وكما كان الحال في كثرة شيوخ ابن أبي الدنيا ومن روى عنهم كذلك كان بالنسبة إلى تلامذته الذين رووا عنه مصنفاته وآثاره وهم خلق كثير ، ومن اشهر تلاميذه :

١) ابن خنب : الشيخ العالم المحدث الصدوق مسند بخارى وشيخ تلك الناحية محمد بن خنب بن احمد بن راجيان بن حامديان بن مماحك بن قرماي أبو بكر البخاري ثم البغدادي الدهقان ولد سنة ٢٦٦هـ سكن بخارى وحدث بها توفي في غرة رجب سنة ٣٥٠هـ .

٢) ابن عقدة : الحافظ العلامة أحد أعلام الحديث ونادرة الزمان احمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن زياد بن عبد الله بن عجلان أبو العباس المعروف بابن عقدة ، صاحب التصانيف وعقدة لقب لأبيه النحوي البارع محمد بن سعيد ولقب بذلك لتعقيده في التصريف ولد سنة ٢٤٩هـ بالكوفة ، قدم بغداد وسمع بها ، قال الخطيب البغدادي : كان حافظاً عالماً مكثراً جمع التراجم والأبواب والمشيخة واكثر الرواية وانتشر حديثه ، روى عنه الحفاظ والأكابر . كان يحفظ مئة ألف حديث بالإسناد والمتن . توفي لسبع خلون من ذي القعدة سنة ٣٣٢هـ .

٣) القطان : الإمام المحدث الثقة مسند العراق احمد بن محمد بن عبد الله بن زياد بن عباد أبو سهل القطان البغدادي متوثي الأصل سكن دار القطن ولد في صفر سنة ٢٥٩هـ روى عنه : الدارقطني والحاكم ، قال الخطيب البغدادي : كان صدوقاً أديباً شاعراً ، كان فيه مزاح ودعابة . وقال أبو عبد الله بن بشر : " ما رأيت احسن انتزاعاً لما أراد من آي القران من أبي سهل بن زياد ، كان جارنا ، وكان يديم صلاة الليل والتلاوة ، فلكثرة درسه كأن القرآن نصب عينيه ينتزع منه ما شاء من غير تعب " . وقال ابن كثير : كان ثقةً حافظاً كثير التلاوة للقران ، حسن الانتزاع للمعاني من القران ، توفي يوم السبت لسبع خلون من شعبان سنة ٣٥٠هـ ودفن قرب قبر معروف الكرخي ، وسنه يوم توفي ٩١ سنة .

٤) ابن خزيمة : الحافظ الحجة الفقيه شيخ إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف ، ولد سنة ٢٢٣هـ عني في حداثته بالحديث والفقه حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان ، روى عنه البخاري ومسلم وغيرهما كثير ، ولد وتوفى في نيسابور رحل الى العراق والشام والجزيرة ومصر ، توفي سنة ٣١١هـ .

ثالثاً : أقوال العلماء في ابن ابي الدنيا :

للعلماء أقوال كثيرة بحق ابن أبي الدنيا ، نذكر منها : قال أبو علي صالح بن محمد البغدادي ، الملقب بجزرة : صدوق . وقال أبو حاتم : بغدادي صدوق . وقال القاضي أبو الحسن : وبكرت إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي يوم مات ابن أبي الدنيا ، فقلت : اعز الله القاضي مات ابن أبي الدنيا ، فقال : " رحم الله ابن أبي الدنيا ، مات معه علم كثير " . وقال ابن أبي حاتم : " كتبت عنه مع أبي " .

وأما من وثقه وأثنى عليه من الأئمة النقاد ممن خلفوه : المؤرخ المسعودي (ت٣٤٦هـ) إذ ذكره في وفيات سنة ٢٨١هـ ، وذكر انه مؤدب المكتفي بالله ، وصاحب الكتب المصنفة في الزهد وغيره ، ثم قال : (وإنما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم في التاريخ ، وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله ﷺ) . وقال ابن النديم (ت٣٨٥هـ) : " أدب المكتفي ، كان ورعاً زاهداً عالماً بالأخبار والروايات " . وقال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) : كان يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء . وقال ابن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ) : صاحب الكتب المصنفة . وقال السمعاني (ت٥٦٢هـ) : كان ثقةً صدوقاً مكثراً من التصانيف في الزهد والرقائق ، أدب غير واحد من أولاد الخلفاء . وقال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) : كان ابن أبي الدنيا يقصد حديث الزهد والرقائق ، وكان لأجلها يكتب عن البرجلاني ويترك عفان بن مسلم . كان ذا مروءة ثقةً ، صدوقاً ، صنف اكثر من مائة مصنف في الزهد . قال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) : صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة . قال المزي (ت٧٤٢هـ) : الحافظ صاحب التصانيف المشهورة . وقال الذهبي (ت٧٤٨هـ) : تصانيفه كثيرة جداً ، إذا جالس أحداً ، ان شاء أضحكه وان شاء أبكاه في ان واحد لتوسعه في العلم والأخبار . وقال أيضا : المحدث العالم الصدوق ، صاحب التصانيف ، كان صدوقاً أديباً إخبارياً ، كثير العلم ، حديثه في غاية العلو ، لان البخاري ، بينه وبين ابن أبي الدنيا أربعة انفس . وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : الحافظ المصنف في كل فن المشهور بالتصانيف الكثيرة ، النافعة الشائعة الذائعة في الرقائق وغيرها ، وهي تزيد على مائة مصنف ، وقيل إنها نحو الثلاث مئة ، وقيل اكثر وقيل اقل ، وكان صدوقا حافظاً ذا مروءة . قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) : صدوق حافظ صاحب التصانيف مع سعة علمه ، ومؤدب أولاد الخلفاء . وقال ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) : مؤدب جماعة من أولاد الخلفاء ، عالماً ورعاً زاهداً ، وله التصانيف الحسان والناس بعده عيال عليه في الفنون التي جمعها ، اتفقوا على ثقته وصدقه وأمانته . وقال السيوطي (ت٩١١هـ) : الحافظ ، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة . وقال الغزي (ت١١٦٧هـ) : الامام الحبر الحجة الحافظ ابو بكر القرشي البغدادي صاحب التصانيف النافعة الشاسعة . وقال البغدادي : الإمام الزاهد . قال كحالة : محدث ، حافظ ، مشارك في أنواع من العلوم . قال الزركلي : كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس . قال د . حسن إبراهيم : " وقد نبغ في عهد المعتضد كثير من الكتاب والمفكرين والشعراء نخص بالذكر منهم ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) مثقف الخليفة المكتفي في حداثته .

احتل ابن أبي الدنيا في الحديث والأدب والتاريخ والسير مكانة مرموقة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وصنفه العلماء في عداد الحفاظ الكبار ، واصطفاه الخلفاء لتأديب أولادهم وتثقيفهم ، وكان طلبة العلم يقصدونه من كل مكان ليسمعوا منه . وأما من أطلق عليه لقب الحافظ ، فضلاً عن من تقدم ، الإمام المزي . وابن حجر . والمعروف عند أئمة الحديث ان لقب " الحافظ " لا يطلق إلا على من أتقن هذا الفن ، وأوتى سعة

في معرفته ، ووقف على غوامضه ودقائقه ، ويكفيه فضلاً وفخراً ان شيخاً كبيراً من مشايخه قد اخذ عنه وهو الحافظ الكبير الحارث بن أبي أسامة (ت٢٨٢هـ) صاحب المسند ، وممن روى عنه من النجباء الجهابذة الإمام ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) صاحب السنن . وابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت٣٢٧هـ) صاحب الجرح والتعديل ، وابن خزيمة محمد بن إسحاق الحافظ (ت٣١١هـ) صاحب الصحيح ، وخلق كثير .

وقال الخطيب البغدادي : كان ابن أبي الدنيا يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء . وأورد رواية عن أبي ذر القاسم بن داود بن سليمان قال : حدثني ابن أبي الدنيا ، قال : دخل المكتفي على الموفق ولوحه بيده ، فقال : مالك لوحك بيدك ؟ قال : مات غلامي واستراح من الكتاب ، قال : ليس هذا كلامك ، كان المكتفي أمر أن يعرض عليه ألواح أولاده في كل يوم اثنين وخميس ، فعرضت عليه فقال لابنه : ما لغلامك ليس لوحك معه ؟ قال : مات واستراح من الكتاب . قال : وكأن الموت اسهل عليك من الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : فدع الكتاب ، قال : ثم جئته ، فقال لي : كيف محبتك لمؤدبك ؟ قال : كيف لا احبه وهو أول من فتق لساني بذكر الله ، وهو مع ذلك إذا شئت أضحكك ، وإذا شئت أبكاك ، قال يا راشد (غلام المكتفي) : احضر لي هذا ـ أي ابن أبي الدنيا ـ فأحُضرت فقُربت قريباً من سريره ، وابتدأت في أخبار الخلفاء ومواعظهم فبكى بكاءً شديداً ، قال : فجائني راغب فقال لي : كم تُبكي الأمير ؟ فقال : قطع الله يدك مالك وله يا راشد تنح عنه ، قال : وابتدأت فقرات عليه نوادر الأعراب ، فضحك ضحكاً كثيراً ، ثم قال : شهرتني شهرتني ، فقال المكتفي لأحمد بن محمد بن الفرات : اجر له خمسة عشر ديناراً في كل شهر ، قال أبو ذر : فكنت اقبضها لابن أبي الدنيا إلى ان مات.

وهذا النص يشير الى ما كان يتمتع به ابن ابي الدنيا رحمه الله من مكانة كبيرة عند الخلفاء فوصل بعلمه وأدبه إلى قلوبهم فإذا أبكاهم بما يعظهم به يستطيع في الوقت نفسه ان يسري عنهم ويذهب غمهم بما حفظه من نوادر الأعراب وأخبارهم كما يدل أيضاً على اطلاعه على أخبار الخلفاء وأحوالهم وما مروا به من محن ونكبات مع معرفته بأدواء القلوب إلى جانب علمه بأخبار السلف الصالح مما نجده واضحاً جلياً في كتبه التي صنفها و وصل اغلبها إلينا . لذا اشاد المؤرخ المسعودي بابن ابي الدنيا ومن حذا حذوه ، فقال : " وقد ألف الناس كتباً في التاريخ والأخبار ممن سلف وخلف " . وعدد أسماءهم ثم قال : " وابن أبي الدنيا مؤدب المكتفي بالله " . وقال عنه الكتبي : " هو أحد الثقات المصنفين للأخبار والسير " . وقد نقل العلماء أقواله في كتبهم التاريخية وفي الجرح والتعديل ، قال الذهبي في ترجمة سفيان الثوري : " كذا نسبه ابن أبي الدنيا " . وقال ابن حجر في ترجمة عبد الله بن عمر العمري : " قال ابن ابي الدنيا كان يكنى أبا القاسم ، فتركها واكتنى أبا عبد الرحمن وارخ سنة وفاته " .

رابعاً : مؤلفاته :

عُرف ابن أبي الدنيا بتصانيفه الكثرة ، والتي يغلب عليها الجانب الزهدي والأسلوب التربوي ، مع اتصالها بشتى أنواع العلوم . فهو قد صنف في القراءات والحديث والعقائد والفقه ، والفضائل والزهد والرقائق والأدب ، والأموال ، وغير ذلك مما جعل العلماء ينعتونه بهذه النعوت الكثيرة ، ويثنون على حسن تصنيفه . حيث قال فيه

ابن كثير : (المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الرائعة في الرقائق وغيرها) . وكذلك قال غيره من العلماء مع اختلاف في العبارة.

وتعرض بعض من ترجم لابن أبي الدنيا لذكر عدد مصنفاته ، وكان الاختلاف واضحاً في ذلك ، فقد قال ابن الجوزي : (صنف اكثر من مائة مصنف في الزهد) . وقال الكتبي : (وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب) . وبادر الذهبي بذكر بعض مؤلفاته ورتبها على حروف المعجم فبلغت (١٦٤ كتاباً) . وعندما تحدث ابن كثير عن كتبه قال : (هي تزيد على مائة مصنف ، وقيل إنها نحو الثلثمائة مصنف ، وقيل اكثر ، وقيل اقل) .

والمهم في الامر أن ابن ابي الدنيا اشتهر بكثرة تصانيفه التي صار ينعت بها من قبل من ترجموا له ففي هذا الصدد قال الخطيب البغدادي عنه : صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرقائق . وقال ابن أبي يعلى : صاحب الكتب المصنفة . وقال ابن كثير : المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الرائعة في الرقائق وغيرها . وقال ابن تغري بردي : وله التصانيف الحسان والناس بعده عيال عليه في الفنون التي جمعها . وقال المزي : صاحب التصانيف المشهورة المفيدة . وقال الذهبي : صاحب التصانيف السائرة . وقال ابن حجر : صاحب التصانيف المشهورة . وقال السيوطي : صاحب التصانيف المشهورة المفيدة

وهذا يشير الى كثيرة تصانيفه ابن ابي الدنيا وإن اختلفت الروايات في عددها فابن الجوزي قال : صنف اكثر من مائة مصنف في الزهد . وقال الكتبي : وهو أحد المصنفين للأخبار والسير وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب . واطلع الذهبي على عشرين كتاباً من مصنفاته وذكرها بأسمائها . وفي الفهرست لابن النديم وفهرست ابن خير الاشبيلي والمعجم المفهرس لابن حجر وكشف الظنون وهدية العارفين وتاريخ الادب العربي وغيرها من المصادر ذكر لعدد كبير من مصنفات ابن ابي الدنيا مما سنبينه في حينه وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق مخطوط كتب عليه " أسماء مصنفات أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا " على حروف المعجم ، ويقع في ثلاث ورقات ، تضمن ١٦٤ كتاباً .

وأشارت مصادر المخطوطات العربية إلى وجود ما يزيد على ستين كتاباً مخطوطاً لابن أبي الدنيا مبثوثة في عدد من الأماكن وفي مقدمتها دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والمفقود من مؤلفاته اكثر من الموجود .

وكان من ثمار جهاد ابن أبي الدنيا الطويل في طلب العلم ، منذ صغره ، وسعيه الحثيث وراء العلماء لينهل من علمهم ، ويسمع منهم ، ان جمع هذا العلم الوافر الغزير ، وصبه في تآليفه الكثيرة ، فأظهرت كثرة مصنفاته قدر كبير من العلم الذي تمكن من تحصيله وجمعه . وقد تبين لي من خلال جمع أسماء مصنفاته وآثاره انه مشارك في أنواع من العلوم ، بارع فيها ، إلا انه طغى على مصنفاته صنفان من العلوم ، وصنف فيهما وغلبا على مؤلفاته ، وهما :

١ . الزهد والرقائق .

٢ . التاريخ والتراجم والسير .

وهما محل تخصصه الدقيق ومحط عنايته ، لذا أبدع فيهما غاية الإبداع ، وجمع فيهما علماً عزيزاً غزيراً ، اصبح مصدراً مهماً لكل من كتب وصنف في هذين الفنين . حتى قال ابن تغري بردي : " وله التصانيف الحسان ، والناس بعده عيال عليه في الفنون التي جمعها " . وقد اطلع على تصانيف ابن أبي الدنيا جمهور كبير من المؤرخين والعلماء والأئمة المشهورين ممن جاءوا بعده واقتبسوا منه . والخطيب البغدادي في تاريخه قد اقتبس من ابن أبي الدنيا ، وكان مهتما بمصنفاته حتى حاز منها على مجموعة كبيرة بلغ عددها ٣٩ مصنفاً كما اقتبس منه الخطيب البغدادي في كتبه الأخرى .

والمتصفح لكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء يجد مئات النصوص المروية من طريق الحافظ ابن أبي الدنيا ، حتى ان أبا نعيم الاصفهاني كاد ان يجعل ترجمة سفيان الثوري كلها عن طريق ابن أبي الدنيا . ولكثرة اهتمام الخطيب البغدادي بكتب ابن ابي الدنيا يلمس الناظر في قائمة الكتب التي اقبل عليها الخطيب البغدادي ، واعتنى بها يجد الحظ الأوفر فيها لكتب ابن أبي الدنيا ، فلم يقرأ لعالم من المصنفات مقدار ما قرأ لابن أبي الدنيا ، اذ تمكن من الاطلاع ٣٩ مصنفاً من مصنفاته ، مما حدا بالدكتور يوسف العش ان يقول : ولعل القارئ انتبه إلى مكانة ابن أبي الدنيا عند الخطيب البغدادي ، وحرصه على جمع رواية كل آثاره . حتى كاد يستوفيها وهو بعيد ، لان مصنفات ابن أبي الدنيا تزيد على المائتين . ولعل الخطيب البغدادي اقبل عليه لسعة اطلاع وجدها عنده ، وحسن معرفة لمسها في مؤلفاته ، وتعرض لموضوعات انفرد بها عن غيره.

ومن خلال نظرة سريعة في فهارس المخطوطات المبثوثة في شرق العالم وغربه وفي إثبات العلماء ومعاجمهم ، وكتب التخريج والتوثيق ، وغير ذلك ، من العناوين والمعاجم نجدها طافحة بذكر مصنفات هذا العالم المكثر من التصنيف . ولهذه المكانة الطيبة التي احتلتها مصنفات ابن أبي الدنيا في التراث الإسلامي ، دفعت بعض العلماء إلى جمع مصنفاته ، مثل ابن النديم ، والذهبي ، و ابن حجر ، وحاجي خليفة ، والبغدادي . وغيرها كما وضع أحد المؤلفين معجماً لمصنفات ابن ابي الدنيا رتبها على حروف المعجم وضمنه مائة وأربعة وستين كتاباً. وضم له الدكتور صلاح الدين المنجد زيادات من سير أعلام النبلاء ، والفهرست لابن النديم ، وفهرس ابن خير الاشبيلي وكشف الظنون وهدية العارفين ، فبلغ مجموعها ١٩٨ كتاباً ، وهو جهد مشكور افدنا منه ، وقد فاتته أشياء فيه ، فضلاً عن الجهد الذي قدمه بروكلمان .

وبعد اطلاعي على هذه المصنفات كلها وغيرها من كتب المعاجم والتراجم رأيت اوعبها وأجودها وادقها ما في سير أعلام النبلاء للذهبي الذي عد له ١٦٤ كتاباً ، ومن ثم معجم مصنفات ابن أبي الدنيا الموجود بالمكتبة الظاهرية ، وقد عد له ١٦٤ كتاباً أيضاً .

ويبدو ان مؤلفات الامام ابن ابي الدنيا كما هي الان كان لها مريدوها وطلابها في كثير من انحاء الدولة الاسلامية ، بدليل ان ابن خير الاشبيلي ، وعلى الرغم من بعد المسافة بين بغداد التي سكنها ابن ابي الدنيا ن وبين الاندلس التي عاش فيها ابن ، الا اننا نجده روى عدداً من كتب ابن ابي الدنيا عن شيوخه مما يعني ان تلك الكتب او على الاقل عدد لا بأس به ، قد وصلت الى اقصى غرب الدولة الاسلامية .

وقد تحصل لدي من أسماء مصنفاته الكثير ، وذلك بعد التتبع في فهارس المخطوطات وكتب المعاجم والتراجم فضلاً عن ما ذكرنا ٢٧٠ مؤلفاً . وهذا كشف بأسماء مصنفات ابن أبي الدنيا ، ورتبت الكتب على حروف المعجم وحسب موضوعاتها : القراءات و الحديث والعقائد والفقه وأصوله والزهد والرقائق والتاريخ والتراجم والسير والتراجم المفردة والآداب والفضائل .

اقتباسات العلماء منه :

اقتبس عدد كبير من المؤلفين من الإنتاج العلمي لابن أبي الدنيا ، منهم : المؤرخون مثل الخطيب البغدادي ، وابن عساكر ، والذهبي ، والصفدي ، وابن كثير ، والسيوطي . ومن الفقهاء : النووي . والمحدثين : الدارقطني ، والحاكم ، والبيهقي ، والخطيب البغدادي ، والسيوطي . والرجال ومنهم : ابن شاهين ، وابن عدي ، وابن أبي حاتم ، وابن الأثير ، والمزي ، والذهبي ، وابن حجر . والتفسير ومنهم : القرطبي ، وابن كثير ، والشوكاني .

وفاته : وبعد هذه الحياة الحافلة بالعطاء العلمي الغزير المليئة بالجد والاجتهاد توفى الإمام الحافظ ابن أبي الدنيا يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٢٨١هـ ، وصلى عليه القاضي يوسف بن يعقوب ، ودفن بالشونيزية ببغداد رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعنا بآثاره القيمة .

المبحث الثاني : كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا

عنوان الكتاب وصحة نسبته إلى ابن أبي الدنيا

جاء ذكر كتاب إصلاح المال في مصادر متعددة ، اتفقت جميعها على تسميته بكتاب إصلاح المال . توثقت نسبة هذا الكتاب الى مؤلفه بعدد من الادلة ، منها ما ورد ذكره عند ابن أبي يعلى ، والذهبي ضمن ترجمتهما لابن أبي الدنيا ، وجاء ذكره في معجم مصنفات ابن أبي الدنيا ، وعند ابن حجر ، وفي كشف الظنون ، وفي هدية العارفين ضمن ترتيب مصنفات ابن أبي الدنيا ، كما جاء في الرسالة المستطرفة عند الحديث عن المصنف وذكر مؤلفاته ، كما وردت التسمية نفسها على صفحات النسخة الخطية التي اعتمدها ، محقق كتاب إصلاح المال إذ جاء في آخرها ما نصه : " آخر كتاب إصلاح المال ، والحمد لله " ، واكد ذلك الطريقي .

هذه هي المواطن التي وقفت عليها والتي ذكرت الكتاب باسم إصلاح المال وقد ورد في بعض الكتب ذكر كتاب الأموال لابن أبي الدنيا ، واظنهما واحداً ، فقد ذكره ابن حجر في مقدمة كتابه فتح الباري باسم كتاب الاموال واعتمده مصدراً ، وكذلك ورد في معجم مصنفات ابن ابي الدنيا ، لكنه اورد كذلك اسم كتاب اصلاح المال ، مما جعل الاحتمال قائماً بانهما عبارة عن كتابين منفصلين غير قابل للوقوف امام الحالات المماثلة ـ وهي كثيرة في مصادرنا التراثية ـ لان العادة جرت عند مؤلفينا ان يذكروا اسم الكتاب مختصراً او بتصرف ، فلا غرابة ان يتحول كتاب (اصلاح المال) الى (الاموال) والادلة على ذلك كثيرة . وهذا الامر لم يقتصر على ابن ابي الدنيا بل حدث مع الكثير من المؤلفين . فعلى سبيل المثال لا الحصر يُشار الى كتاب (الامثال في الحديث) لابي عبيد بـ (الامثال لابي عبيد) ، حتى ان ابن حجر رغم شهرة كتابه (فتح الباري) فانه يذكر اختصاراً بـ (الفتح).

وفي كلا الحالين ، فان تسمية الكتاب بـ اصلاح المال هي المشهورة والمتعارف عليها في الكتب المعنية بهذا الامر ، وبالتالي فهي تكون بلا شك التسمية التي اختارها المصنف لكتابه هذا . وهذه الدلائل والشواهد المتقدمة لا تبقي أدنى شك في إن هذا الكتاب هو أحد كتب الإمام ابن أبي الدنيا .

وكتاب اصلاح المال لابن ابي الدنيا صدر بتحقيق محمد عبد القادر عطا ضمن مجموعة رسائل ابن ابي الدنيا ، عن مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت سنة ١٩٩٣م .

كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا :

طبع بنفس الاسم، ضمن " موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا " بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، وصدر عن مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ، سنة ١٤١٣هـ . وهذا الكتاب القيم (إصلاح المال) للإمام ابن أبي الدنيا يعرض صوراً مشرقةً ، من أحاديث النبي ﷺ ، وحياة الصحابة والتابعين وما كانوا عليه من تدبير وعدم إسراف واجتناب الكسب الحرام وكل ما يؤدي إليه . صوراً أشبه ما تكون بالخيال ، ولكنها واقع عاشته الأجيال المسلمة فترات متعاقبة من الزمان ، ويمكن بدراسته واستحضاره ان تتجدد الصلة الحية بين ماضي هذه الأمة وحاضرها ، فيكون دافعاً لانطلاقة اكبر ، فانه بما اشتمل عليه من الصور الواقعية الحية يدعو المسلمين من أبناء هذا الجيل إلى ان يصنعوا كما صنع سلفهم الصالح المُصلح ، فيحولوا ما مكتوب إلى أفعال ، ولا يخزنوا النصوص في الذاكرة بل يتذكرونها ويتمثلونها في المواقف والأفعال .

ومن اجل هذا وضع الإمام ابن أبي الدنيا معظم مصنفاته ، وذلك ليضبط تعامل الناس بمعايير الشرع وصوره التطبيقية عند السلف . وفي ضوء ذلك يتضح امامنا مدى حاجة المسلمين إلى مثل هذا الكتاب النافع الذي يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يشتت . وهم يحيون في هذا الظرف العصيب المتردي .

ويُعد كتاب إصلاح المال في وقت أحوج ما نكون فيه إلى معرفة كيفية إصلاح أموالنا مع وجود النعم الكثيرة والخيرات الوفيرة التي انعم الله بها علينا .

كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا الذي نقوم بدراسته واحد من مؤلفاته العديدة ذكرته المصادر متفقة على تسميته بكتاب إصلاح المال ، ويعد المؤلف رائداً في موضوعه إذ جمع ما قيل في كيفية إصلاح المال من آيات وأحاديث وآثار وأخبار وممارسات ، وقد جعل كتابه مقسماً إلى أبواب عدة في كل باب تطرق إلى موضوع مختلف عن الآخر . مورداً ذلك بطريقة المحدثين بالسند المتصل مع استشهاده بكثير من الشعر .

ويبقى له الفضل في السبق إلى هكذا موضوع ، وقد التزم المؤلف في هذا الكتاب الطريقة نفسها التي سار عليها في اغلب ، ان لم نقل كل كتبه ، فهو يورد الأحاديث والأخبار في كل موضوع على حدة . وقد قسم كتابه إلى أبواب عدة هي : باب أخذ المال من غير حقه ، وباب فضل المال ، وباب إصلاح المال ، وباب الرفق في المعيشة وحسن التدبير ، وباب الاحتراف ، وباب افاضل التجارات ، وباب المذموم من التجارة ، وباب المماكسة في الابتياع ، وباب العقارات ، وباب الضياع ، وباب عمل اليد ، وباب القصد في المال والمطعم والملبس ، وباب التركات ، وباب في كثرة المال وباب الفقر .

المبحث الثاني : دوافع تصنيف كتاب اصلاح المال :

لابد لكل عمل يقوم به الانسان من دوافع واهداف ، يسعى لبلوغها والوصول اليها ، لاسيما ان كان من الاعمال العلمية والتي تتطلب الجهد والوقت معاً ذلك انها تحتاج الى تمحيص وتدقيق واستيعاب .

وكتاب اصلاح المال هذا عمل علمي دقيق ، حيث راعى فيه مصنفه الاسلوب العلمي الموضوعي ، والعرض المتكامل الشامل لما فيه من جزئيات ، وبعد دراسة البيئة التي نشأ ابن ابي الدنيا فيها ، والمجتمع الذي تربى وربى فيه ، يمكن تشخيص بعض الدوافع التي كانت وراء الاقدام على هذا التصنيف بالنقاط الاتية :

١ . لما كان المجتمع آنذاك يعيش في دعة وراحة ورفاهية ، نتيجة الخيرات التي كانت تنهال عليه بعد عمليات الفتوح والنصر التي حققها المسلمون ، الزم العلماء ان يجتهدوا في توعية ابناء المجتمع ويذكروهم بما يحفظ عليهم دينهم ، ويدفع عنهم شهوات الانفس ، والتي قد تؤدي بصاحبها الى المهالك ، وقد كان ابن ابي الدنيا من هذه الثلة التي جعلت من نفسها مرشداً الى عقيدة السماء فكان هذا الكتاب .

٢ . قُرْبُ ابن ابي الدنيا من الخلفاء واولي الامر كان له عظيم الاثر في ظهور هذا الكتاب . فقد كان مؤدباً لابناء الخلفاء الذين سيؤول اليهم الامر بعد ذلك ، فعمل على غرس بذور الايمان وتنميتها فيهم ، لهذا فهو قد الف في كل فن ولم يقتصر على نوع معين من انواع الثقافة .

وعمله هذا في تأديب ابناء الخلفاء انما هو اقتفاء لاثر شيخه ابي عبيد القاسم بن سلام ، الذي ادب اهل القائد هرثمة بن أعين ، فجاء من بعده وقام بهذه المهمة التي لا تُسنَد إلا لمن أبحر في العلوم وحاز السبق فيها ، فأدب الخليفة المعتضد بالله (ت٢٨٩هـ) وابنه علياً (ت٢٩٥هـ) ، فراى ان هؤلاء وغيرهم من اهل الخليفة سيكون بايديهم زمام الامر بعد فترة من الزمن ، فعمل على اطلاعهم على ما يجب عليهم ان يطلعوا عليه ، لاسيما في الامور التي تتعلق باموال المسلمين ، والتي تُجمع بين ايديهم ، من حيث الاحتراز والتثبت مما ياخذه المسلم ويتملكه ، فبين لهم شروط التملك وغاياته وطرقه وما الى ذلك . وافرد هذا الكتاب لجمع النصوص التي توضح هذه الامور .

٣ . ولما كذلك لما كان شيخه وهو ابو عبيد القاسم بن سلام مؤلفاً لكتاب من اعظم الكتب التي تتحدث في فقه الاموال ، فقد اسهم هذا في توجهه الى هذه الوجهة ونهجه في هذا الطريق ، محاولاً تكميل المنهاج الذي ابتدأه شيخه ، في اصلاح الراعي والرعية ، فشيخه قد بين المسائل الفقهية المتعلقة بالاموال ، فجاء هو وبين المسائل التربوية والتعليمية في اخذ الاموال واصلاحها والاقتصاد فيها ، فاظهر بالنصوص التي اوردها في ذلك ان الاقتصاد في الامور المعاشية وغيرها من الضروريات التي لا غنى للمسلم عنها في حياته .

٤ . ولما كان ابن ابي الدنيا مربياً ومؤدباً وموجهاً معروفاً ومشهوراً في ذلك الوقت ، فقد لزم ان يسهم بتربية افراد المجتمع وتوجيههم في شتى المجالات والاتجاهات ، فيبدو انه قد ابتدأ معهم بتربية نفوسهم وتأديبها ، منطلقاً في ذلك من تأديب السنتهم وتربيتها حيث صنف في ذلك كتاب الصمت وآداب اللسان . ثم حثهم على لزوم التواضع وعدم الاغترار بما يؤول للإنسان من متاع في هذه الدنيا ، وصنف بهذا الاتجاه كتاباً اسماه التواضع ، وبعد ذلك انطلق لتربيتهم التربية الجماعية ، فبين لهم حقوق بعضهم على البعض التي رائدها الاخوة الاسلامية

، وبعث بهذا الاتجاه كتاباً متخصصاً كذلك ، وسماه الاخوان ، ثم دخل الى ما يحبه الانسان حباً جماً ، ليبين له طرق امتلاكه والحقوق المنوطة به ، وسبل تنميته واصلاحه ، والنظرة الاسلامية اليه فكان هذا الكتاب .

٥ . ان الفكر الاقتصادي الاسلامي عُني بالمال من حيث تعريفه وتحديد معناه وطرائق كسبه ومشروعية هذه الطرائق واهميته للفرد والدولة ونظر اليه على انه ثمن يلبي الحاجات اذ انه يُدفع عوضاً عن مواد وحاجات واعمال ، وينظر اليه انه عنصر من عناصر الانتاج ومن جهة التملك فهو ملكية عامة وملكية خاصة . والمال في المفهوم الاقتصادي كل ما ينتفع به على وجه من الوجوه كما انه يعد كل ما يُقوم بثمن اياً كان نوعه واياً كانت قيمته مالاً .

وللمال في الاسلام حرمته وقداسته وقد وجب الحفاظ عليه حتى عد القتال من اجله والموت في سبيله من الشهادة ، قال الرسول ﷺ : (من قتل دون ماله فهو شهيد) . ولهذا لا يجوز الاعتداء على اموال وممتلكات الاخرين ، اذ حرم الاسلام السرقة والغصب والاختلاس والخيانة والربا والغش والتلاعب بالكيل والوزن . وعد كل ما اخذ بغير وجه حق اكلاً للمال بالباطل . ومن باب المحافظة على المال فقد نهى الاسلام عن التبذير وشراء الحاجات المحرمة . ولا يعطى للسفهاء الذين لا يصونونه ، قال تعالى : (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا) . وقال النبي ﷺ : (وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) . ومن اضاعة المال ان ينفق في الشهوات المحرمة .